

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٦٦﴾﴾ أي لا تترك على وجه الأرض منهم أحداً ولا دياراً وهو الذي يسكن الدار، فاستجاب الله له فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين، حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه وقال: ﴿سَتَأْتِي إِلَى جُبَلٍ يَعْصُمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [مرد: 43].

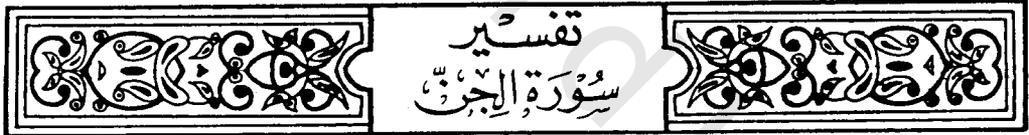
﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٦٧﴾﴾

﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ أي إنك إن أبقيت منهم أحداً أضلوا عبادك أي الذين تخلقهم بعدهم ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ أي فاجراً في الأعمال، كافراً في القلب، وذلك لخبرته بهم، ومكنه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاماً.

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا يُزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا

نَبَارًا ﴿٦٨﴾﴾

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ يعني مسجدي، ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها، وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات، وذلك يعم الأحياء منهم والأموات ﴿وَلَا يُزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾ أي خساراً في الدنيا والآخرة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿٦٩﴾﴾

يقول تعالى أمراً رسوله أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه، وانقادوا له فقال تعالى: ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿٦٩﴾﴾.

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٧٠﴾﴾

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ أي إلى السداد والنجاح ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾.

﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَنِيعَهُ وَلَا وَلَدًا ﴿٧١﴾﴾

﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي فعله وأمره وقدرته، أو تعالى ربنا ﴿مَا اتَّخَذَ صَنِيعَهُ وَلَا وَلَدًا﴾ أي تعالى عن

اتخاذ صاحبة والأولاد، أي قالت الجن ذلك حين أسلموا. ويحتمل أنه اسم جنس لكل من زعم أن الله صاحبة أو ولداً.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾﴾

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ يعنون إبليس ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ أي جوراً وباطلاً وزوراً.

﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾

﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ أي ما حسبنا أن الإنس والجن يتمالؤون على الكذب على الله تعالى في نسبة صاحبة والولد إليه، فلما سمعنا هذا القرآن، وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ أي كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس، لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً من البراري وغيرها، كما كانت عادة العرب في جاهليتها، يعوذون بعضهم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسؤهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقاً، أي خوفاً وإرهاباً وذعراً حتى بقوا أشد منهم مخافة، وأكثر تعوداً بهم كما قال قتادة: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي إنمأ، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة، أو خوفاً.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾ أي لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولاً.

﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَابًا ﴿٨﴾﴾

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ، وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرساً شديداً، وحفظت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لثلاثي استرقوا شيئاً من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهنة فيلبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق، وهذا من لطف الله تعالى بخلقه، ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز، ولهذا قال الجن ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَابًا ﴿٨﴾﴾.

﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴿٩﴾﴾

﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴿٩﴾﴾ أي من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهاباً رصداً له لا يتخطاه، ولا يتعداه، بل يمحقه ويهلكه.

﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرُّ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشْدًا ﴿١٠﴾﴾

﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرُّ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشْدًا ﴿١٠﴾﴾ وهذا من أديهم في العبارة، حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل، والخير أضافوه إلى الله عز وجل. وقد ورد في الحديث الصحيح «والشر ليس إليك» وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك، ولكن ليس بكثير، بل في الأحيان بعد الأحيان.

﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ﴿١١﴾﴾

يقول تعالى مخبراً عن الجن أنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي غير ذلك ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا﴾ أي طرائق متعددة مختلفة، وآراء متفرقة، أو منا المؤمن، ومنا الكافر.

﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾

﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ أي نعلم أن قدرة الله حاکمة علينا، وأنا لا نعجزه في الأرض، ولو أمعنا في الهرب فإنه علينا قادر لا يعجزه أحد منا.

﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰءَ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾

﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰءَ آمَنَّا بِهِ﴾ يفتخرون بذلك، وهو مفخر لهم، وشرف رفيع، وصفة حسنة. وقولهم: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ فلا يخاف أن ينقص من حسناته، أو يحمل عليه غير سيئاته، كما قال تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشْدًا ﴿١٤﴾﴾

﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ أي منا المسلم، ومنا القاسط، وهو الجائر عن الحق، الناكب عنه، بخلاف المقسط، فإنه العادل ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشْدًا﴾ أي طلبوا لأنفسهم النجاة.

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ أي وقوداً تسعر بهم.

﴿وَالْوَالُوۤا اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ

يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

﴿وَالْوَالُوۤا اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ﴾ في معنى هذا قولان أحدهما: لو استقاموا على طريقة الإسلام وعدلوا إليها، واستمروا عليها ﴿لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ أي كثيراً، والمراد بذلك سعة الرزق، ومعنى ﴿لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ﴾ على هذا: لنختبرهم فيه ليتبين من يستمر على الهداية ممن يرتد على الغواية، والثاني ﴿وَالْوَالُوۤا اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ على طريقة الضلال ﴿لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ أي

لأوسعنا عليهم الرزق استدارجاً، ويتأيد بقوله تعالى: ﴿لَتَفْنِيَنَّكُمْ فِيهِ﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي عذاباً مشقاً شديداً موجعاً مؤلماً، أو ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي مشقة، لا راحة معها.

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨)

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨) قال قتادة: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم، وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه ﷺ أن يوحدوه وحده.

﴿وَأَنْتَ لِمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (١٩)

﴿وَأَنْتَ لِمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (١٩) تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفثوه، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناواه.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ (٢٠)

﴿قُلْ﴾ أي قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليبتلوا ما جاء به من الحق على عداوته ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ أي إنما أعبد ربي وحده لا شريك له، وأستجير به، وأتوكل عليه ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾.

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (٢١)

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (٢١) أي إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي، وعبد من عباد الله، ليس إلي من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم، بل المرجع في ذلك كله إلى الله عز وجل.

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخْرِجَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَحَدٌ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (٢٢)

ثم أخبر عن نفسه أنه لا يجيره من الله أحد، أي لو عصيته، فإنه لا يقدر أحد على إنقاذه من عذابه ﴿وَلَنْ أَحَدٌ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ملجأ.

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ (٢٣)

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ أي لا يجيرني منه ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها علي ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ أي أنا أبلغكم رسالة الله، فمن يعصي بعد ذلك فله جزاء على ذلك جهنم خالدين فيها أبداً، أي لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها.

﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ (٢٤)

﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ (٢٤) أي حتى إذا رأى هؤلاء المشركون

من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة فسيعلمون يومئذٍ من أضعف ناصراً وأقل عدداً، هم أم المؤمنون الموحدون لله تعالى، أي بل المشركون لا ناصر لهم بالكلية، وهم أقل عدداً من جنود الله عز وجل.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرَيْتَ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَكُمْ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ أن يقول للناس إنه لا علم له بوقت الساعة ولا يدري أقرب وقتها أم بعيد ﴿قُلْ إِنْ أَدْرَيْتَ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَكُمْ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾ أي مدة طويلة.

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَن آرَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ

يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَن آرَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ هذه كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: 255] وهكذا قال ههنا: إنه يعلم الغيب والشهادة، وإنه لا يطلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا مما أطلعه تعالى عليه ﴿إِلَّا مَن آرَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ وهذا يعم الرسول الملكي والبشري. ثم قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ أي يخصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله، ويساوقونه على ما معه من وحي الله.

﴿لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَتْلَعُوا رِسَالَتِي رَّبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَتْلَعُوا رِسَالَتِي رَّبِّهِمْ﴾ ليعلم نبي الله أن الرسل قد بلغت عن الله، وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها. ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾.

تفسير سورة المزمل

روى البزار عن جابر قال: اجتمعت قريش في دار الندوة، فقالوا: سمو هذا الرجل اسماً يصد الناس عنه، فقالوا: كاهن، قالوا: ليس بكاهن، قالوا: مجنون، قالوا: ليس بمجنون، قالوا: ساحر، قالوا: ليس بساحر، ففرق المشركون عن ذلك، فبلغ النبي ﷺ فتزمل في ثيابه وتندثر فيها، فأتاه جبريل ﷺ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ ﴿١﴾﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿٢﴾﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ ﴿١﴾﴾ قُرْ أَيْتِلْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نَضْفُهُ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ